

# الاستاذ ماسينيون

## عضو مجتمع اللغة العربية

جرؤ ماسينيون على مواجهة الفكر العام الرسمي بفرنسا عندما هب عام 1953 للدفاع عن ملك المغرب جلاله محمد الخامس وعن أبنائه المجاهدين (وفي طبعتهم جلاله الحسن الثاني) الذين رج بهم الاستعمار في غياب حالكة بعد أن مهد لهذه الباكرة المذكورة سلسلة من الاختلافات المزيفة لتبرير فعلته الشنعة .

إلى التكيف المرن ولو على حساب الكرامة الإنسانية والمثل العليا . وقد جرؤ ماسينيون على مواجهة الفكر العام الرسمي بفرنسا عندما هب عام 1953 للدفاع عن ملك المغرب جلاله محمد الخامس وعن أبنائه المجاهدين الذين رج بهم الاستعمار في غياب حالكة بعد أن مهد لهذه الباكرة المذكورة سلسلة من الاختلافات المزيفة لتبرير فعلته الشنعة ! قام ماسينيون آنذاك وصرخ في وجه الساسة الفرنسيين داعيا باسم مبادئه الشوربة إلى احترام حق المغرب في الحياة واحترام هذه الانتفاضة المكية السامية التي دفعت ملك المغرب إلى التضحية بعرشه ليعيش الشعب ولتحيا الوطن ! كانت صرخة منوية أرسلها ماسينيون مع ثلاثة من رفاقه في قلب باريس فسجّلها له التاريخ بمداد الفخر ! وقد ذهب ماسينيون بعد من ذلك فزار الملك الراحل محمد الخامس في جزيرة مدغشقر معطياً بذلك انصع دليل على تجاوب الأفكار العرة رغم الفروق السلالية والمعاجز السياسية . وكان ماسينيون في كل حركاته مستمدًا من هذه الروح الوثابة التي وسمت الإسلام بعיסى خاص فكان يردد أنه إنما كانت المسيحية قد لقت البشرية مبادئها الاحسان فإن الإسلام قد نفع في روح الإنسانية ففيما من الآيمان وهذا هو ما حدا ماسينيون إلى اعتناق الإسلام في فترة من حياته وكان يحكى لمن يطرقه من

الاستاذ لوبي ماسينيون من المع الشخصيات الفرنسية التي كان لها ضلع قوي في تركيز حركة الاستشراف بوجه عام والدراسات العربية بكيفية خاصة وقد شغل كرسيا هاما في كلية السريرون وأختاره مجمع اللغة العربية بمصر عضوا فيه وينالك اندرج في سلك من أئبي اللغة الضاد على الصعيد العربي رسالة رائعة .

لقد مات ماسينيون وترك صدى محاضراته يرن في ردهات الجامعات العربية والمؤتمرات باسلوبه العربي المركز ومنطقه الرصين وعمق نظراته إلى المشاكل التي واجهتها اللغة العربية في انتفاضتها المعاصرة إزاء التطور العلمي الحديث .

عرفته منذ عقدين من السنين من خلال مؤلفاته وتعرفت إليه مباشرة منذ تسع عشرة سنة عندما زرته بمنزله بزنقة فرانسوا الأول رقم 2 بباريس في صيف 1945 م. وتلمحت في الرجل من هذا وذاك عبقريه فذلة وروحًا فنياضة وارادة فولاذية وابياماً يتفجر معينه بما يدعم المثالية الحق وكان في هذا وذاك موسوعة حية تنبثق معطياتها عن شعور متثبت بأمثلية القيم الروحية وتباور هذا الاحساس مني عنياً من سويداء ماسينيون الفيلسوف في صور تصدم كل من يتصل بالرجل أذ صراحة ماسينيون وصموده لم يائمه كانا يثيران خضما من الاحاسيض الازدعة في الاوساط المختلفة التي دانت العالم بابحاثه النيرة والتي كانت تحدوها حواجز شتى

الزوار العجبين به عن الملابس التي احدثت بهذه الفترة ، وقد كان آنذاك في القاهرة وانتابته ازمة فكرية طوحت بجثمانه فانهار في مرض مخيف ويات معارفه من علماء الازهر وأعضاء المجمع اللغوي يرثلون القرآن في مخدعه فلافق وقد شفي مما كان قد ألم به وعرف للقرآن هذا الفيض من التور فكان يعترف بأن القرآن شفاء للناس وهو من مؤلاء الناس .

لقد درس ماسينيون التصوف الإسلامي وكتب عن الحلاج ومقتل الحلاج وفسحة الحلاج مجلدا ضخما يقع في ألف صفحة قرأته بامتعان واعجاب منذ عشرين سنة فلمست في نبراته الروحية اقتدارا غدا على سير بعض أغوار هذا الفكر الباطني الإسلامي الذي أضاف إلى القدر الشاعر بين البشر تبعا جديدا حاول ماسينيون أن يعبر عن مدركاته الرقيقة لأول مرة في تاريخ اللغة الفرنسية بالأسلوب عميق خلق لعدد غير قليل من المناطيق والمفاهيم الصوفية مقابلة في الاصطلاح الفلسفى الغربى ! وكتت أتوسم من خلال تعابير ماسينيون الفنية بالاداة اللغوية الفرنسية مجاهدا كثيرا ما يوفق لأن الصورة الباطنية تبرز احيانا في مظهر ينم عن مخبرها الرائع وقد اردف ماسينيون هنا المجهود بدراسات حول الاصطلاحات الفنية الصوفية .

وكان ماسينيون يرجع التصوف الى اصل اسلامي صرف هو القرآن مؤكدا ان التصوف في انبثاقاته الاولى

ليس سوى تلك الاشراقة الروحية المنبعثة من دراسة القرآن والمستمدة من بنعه الفياض وان التطورات التي طرأت على الفكر الصوفي من جراء التأويلات الباطنية الجديدة التي تتجلی خاصة في كتب ابن عربي الحاتمي انما تأثرت - في نظره - بالنزعة الصوفية المسيحية التي اقتبست هي الأخرى من مصادر فلسفية ابرزها مذهب الاشراق في المدرسة الأفلاطونية الحديثة بالاسكندرية .

ولم يفت ماسينيون القيام بدراسات اجتماعية لم تقل عمقا عن أيحائه الصوفية ولكنها اتسعت بموضوعية اعطت النطيل على جانب لم يخل منه فكر ماسينيون وهو الواقعية فقد قام سنة 1923 و 1924 بتحقيقات في المغرب وحرب الريف مستعرة الاواز - فاتصل بالتجار واصحاب الحرف بعدد من العواشر المغربية هي فاس ومراكب والرياط وسلا ومكناس والدار البيضاء وتارودانت واستقرت تحريراته عن احصائيات مدققة نمت عن أهمية العناصر الصناعية بالغرب آنذاك فتبين ان عدد الصناع والمحترفين والتجار في تلك الحواضر يبلغ مبدئيا نصف السكان .

وقد قام ماسينيون بتحريات أخرى في باقي الاقطار الاسلامية تجلت في بعض كتبه مثل «رائد العالم الاسلامي» و «الاوّاقف في الاسلام» .

ومكنا خدمت جذوة رجل بعد ان أدى الفكر وللإنسانية أجل الخدمات .

عبد العزيز بعميد الله

